

أبو الشهداء الحسين بن علي عليه السلام

الذي لا يفرّ من شيء ولا يبالي من يصيب وما يصاب، فتولاهم الذعر وشلّت أيديهم التي كانت خليقة أن تمتدّ إليه، وانطلق هو يثخن فيهم قتلاً وجرحاً حتّى أفاقوا له من دعرهم ومن شغلهم بضجّتهم وغيمتهم، فلم يقولوا عليه حتّى تعاون على قتله رجلان([446]). فكان هذا حقّاً هو الكرم والمجد في عسكر الحسين إلى الرmq الأخير. خسة ووحشيّة وكان حقّاً لا مجازاً ما توخّيناه حين قلنا: إنّهما طرفان متناقضان، وإنّها حرب بين أشرف ما في الإنسان وأوضع ما في الإنسان. فبينما كان الرجل في عسكر الحسين ينهض من بين الموتى ولا يرضّ بالرمق الأخير في سبيل إيمانه، إذا بالآخرين يقتربون أسوأ المآثم في رأيهم – قبل رأي غيرهم – من أجل غنيمة هيّنة لا تسمن ولا تغني من جوع. فلو كان كلّ ما في عسكر الحسين ذهباً ودرّاً لما أغنى عنهم شيئاً وهم قرابة أربعة آلاف.. ولكنّهم ما استيقنوا بالعاقبة – قبل أن يسلم الحسين نفسه الأخير – حتّى كان همّهم إلى الأسلاب التي يطلبونها حيث وجودها، فأهرعوا إلى النساء من بيت رسول الله ﷺ ينازعونهنّ الحلّى والثياب التي على أجسادهنّ([447])، لا يزعهم عن حرّات رسول الله ﷺ وازع من دين أو مروءة.